جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف بين التحامل الاستعماري والتدافع الطرقي
(1931 – 1937).

بقلم
أ/ موسى بن موسى(*)(**)

ملخص

ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالجزائر كان ضرورة حضارية لحماية الهوية ولمقومات الحضارية للأمة الجزائرية، غير أن هذا التواجد سرعان ما اصطدم مع الإدارة الاستعمارية، من جهة، والطرق الصوفية من ناحية ثانية. وهذا الوضع برز بوضوح في وادي سوف مما جعل الجمعية بين التحامل الاستعماري والتدافع الطرقي، ومن هنا جاء عنوان البحث: جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف بين التحامل الاستعماري والتدافع الطرقي (1931 – 1937).

مقدّمة:

إن الوضع الثقافي الذي كانت تعيشه وادي سوف خلال الفترة الممتدة بين 1931 و1938 جعلها تتميز بحضور من خلال المساهمة في الإصلاح، وهذا من خلال دور الطرق الصوفية في ميدان التعليم حسب تمركز كل طريقة في ضاحية من أرجاء وادي سوف، فنجد قمار الحاضرة الأكثر حيوية من غيرها نتيجة الاستقرار الذي تميز به الأهالي لارتباطهم بالزراعة، والدور الذي قامت به الطرق الصوفية في التعليم خاصة الطريقة التجانية، فاستلزم ذلك العناية بالعلم. وهذا بدوره ساهم في تشييد عدد من المساجد القديمة، والتي تحمل طابع التصوف مثل مسجد الشابية، رغم أنه مسجد أسس على التقوى لا علاقة له بالتصوف الخرافي. أما حاضرة الوادي فإن طابع الحياة

(*) أستاذ مساعد "أ" بقسم العلوم الإنسانية ـ كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ـ جامعة الوادي ـ الجزائر.
(**) باحث في الدكتوراه بقسم التاريخ ـ كلية الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر ـ قسنطينة ـ الجزائر

الاقتصادية يضطر الأهالي إلى طلب العيش خارج حدودهم، مما فرض على كثير منهم التوجه نحو تونس. كما توجه آخرون نحو المدن الجزائرية مثل بسكرة وقسنطينة. أما الحواضر الأخرى فقد تباينت نسبة العلماء والمؤدبين فيها نتيجة بعدهم على المراكز الفاعلة في المنطقة من جهة، والوضع الثقافي السائد الذي يغلب عليه الطابع الطرقي. كما نجد إلى جانب الحاضرتين السابقتين حاضرة الزقم التي كان ارتباطها بتونس وثيقا.

وهذا الدور الذي لعبته الحواضر جعل وادي سوف تشهد حركية إصلاحية من خلال دور الزوايا الذي برز على مستوى التعليم القرآني وجهود النخبة المحافظة التي بقيت تكن للطرق الصوفية كل الاحترام والولاء. أما دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف، فقد ظهر منذ تأسيس الجمعية بالجزائر في 05 ماي 1930 بنادي الترقي، ومنذ ذلك الوقت أصبحت هناك علاقة متمايزة بين الطرق الصوفية من خلال التدافع بين أعلام النخبة المحافظة والعاملين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالإضافة إلى تحامل الإدارة الاستعمارية على نشاط الجمعية ومواقفها السياسية تجاه المستعمر. وهذا العمل يندرج ضمن خطة تتمثل في الآتي:

1 – الحركة الإصلاحية بوادي سوف خلال العشرينات.

2 – ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وميادين ومجالات نشاطها بوادي سوف.

أ – ظهور الجمعية بوادي سوف:

ب– ميادين ومجالات نشاطها.

3 – جمعية العلماء المسلمين بين التحامل الاستعماري، والتدافع الطرقي بسوف.

أ – جمعية العلماء المسلمين والتحامل الاستعماري.

ب – الانقلاب الإصلاحي لعبد العزيز وأثره على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف.

الخاتمة.

1 – الحركة الإصلاحية بوادي سوف خلال العشرينات:

إن عقد العشرينات كان عقد تخمر الحركة الإصلاحية من خلال بروز عدة جرائد وصحف مثل الإقدام والمنتقد[1]، وهذا منذ أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، حيث كان الأهالي يأملون في مبادئ الحرية، والحقوق التي نادى بها الرئيس الأمريكي ولسن، والتي داعبت أحلام

الشعوب المستعمرة، حيث أعتقد أن عهدا جديدا من الحرية والاستقلال سيطر فجره على العالم، وعليه سوف تظفر هذه الشعوب بكامل حقوقها. وعلى هذا الأساس برزت شخصية الأمير خالد بن الهاشمي بن الحاج الكبير بن الأمير عبد القادر الجزائري الذي حاول رفع صوت المطالبة بتحقيق المساواة التامة بين الجزائريين والمعمرين بالجزائر المستعمرة في جميع الحقوق السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، وهذا تحت اسم " مطالب الأمير خالد العشرة "[2]، وأمام التجاهل الفرنسي للوفاء بالعهود ذهبت فرنسا إلى إقرار قيود مجحفة كان لها أثرها السلبي على الحياة الثقافية بالخصوص[3]. هذا ما يجعلنا أن نعتبر حركة الأمير حركة إصلاحية، وهي قد ظهرت قبل أو واكبت حركة العلماء[4].

وأمام هذا الوضع المزري وجد الجزائريون أنفسهم أمام تحدي حضاري جديد، وهو البحث على سبل أكثر قدرة في رفع مستوى التصدي للمشروع التغريبي الذي تودّ فرنسا تحقيقه. فما كان على الشيخ عبد الحميد بن باديس إلا رفع لواء الحركة التعليمية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وهذا ناتج عن الانحطاط الذي وصلت إليه الثقافة الإسلامية بالجزائر، فكان على هؤلاء التفكير في إيجاد آلية منظمة[5] تكون أكثر تكفلا برفع مستوى الثقافة الإسلامية بالجزائر المحتلة. لكن رغم هذا الوضع كانت الجهود المبذولة من طرف بعض العلماء كالشيخ عبد الحميد بن باديس قد آتت أكلها، وهذا بإحياء البعثات الطلابية إلى تونس للدراسة بجامع الزيتونة، والذي لعب دورا هاما في إيقاظ همم الجزائريين، وهذا بعد ان عمدت السلطات الاستعمارية إلى تقليص المدارس العربية ومحاربة الثقافة العربية والدين الإسلامي، وإحلال اللغة الفرنسية محل العربية في جميع المعاهد والمدارس[6]، وعلى هذا الأساس كانت ربوع الجزائر قاطبة تعيش حركة نهوض قصد الخروج من المأزق الذي بات يؤرق غالبية المثقفين. وخلال العشرينات شهدت وادي سوف عودة مجموعة من الطلبة الذين تخرجوا من جامع الزيتونة بعدة شهادات، فكانوا نبراسا أجاجا على محاربة الفكر المتعفن. ومن هؤلاء نجد الشيخ عمار بن الأزعر، والشيخ السايح اللقاني اللذان كانا قد نشطا بقمار، حيث لعبا دورا بارزا في تشجيع عدد من الطلبة بقمار إلى العزم للهجرة إلى تونس لمواصلة التعليم بجامع الزيتونة. غير أن الشيخين عمار بن الأزعر، ومحمد السايح اللقاني ضويقا من طرف السلطة الاستعمارية والطرقية، فما كان من أمرهما إلا اختيار الهجرة من جديد، فلجأ الأول إلى المدينة المنورة سنة 1358هـ / 1937م، والثاني فضل العودة إلى

تونس، حيث التحق بسلك التعليم بالزيتونة دون أن ينقطع في التردد على قمار[7]، وهذا مع محاولة تقديم دروس للطلبة والعامة في بعض المساجد بقمار. فكان هذا النشاط جدّ ناجعا، حيث ساهم في توسيع دائرة الهجرة إلى الزيتونة، ومن هؤلاء نجد: الطالب عبد القادر الياجوري[8] الذي انتقل إلى توزر بالجريد التونسي قصد حفظ القرآن الكريم، وتعلم بعض العلوم. وفي سنة 1925 انتقل إلى جامع الزيتونة، ليتخرج منه بشاهدة التطويع سنة 1934. كما نجد الطالب محمد الطاهر التليلي الذي كان مواظبا في الحضور لدروس الشيخ محمد ابن السائح اللقاني منذ 1923 التي كان يلقيها في الزاوية التجانية، كما كان يحضر دروس الشيخ عمار بن الأزعر في بعض مساجد قمار، وعند بلوغه سن السابعة عشر[9] قصد تونس عن طريق الجريد وذلك سنة 1927[10]، حيث مكث بجامع الزيتونة سبع سنوات، فتحصل خلالها على شهادة التطويع وذلك سنة 1934[11]. والطالب علي بن ساعد خيران[12] المعروف بخيران، وهو من تلاميذ الشيخ عمار بن الأزعر هاجر إلى جامع الزيتونة سنة 1928[13]، ومكث به أربع سنوات ليتحصل على شهادة التطويع سنة 1932، بالإضافة إلى الطالب الحفناوي هالي[14] الذي هاجر بدوره إلى تونس ليلتحق هو الآخر بالزيتونة لينال شهادة التطويع بعد سنوات مكث بها بالجامع. كما نجد الطالب حمزة بوكوشة[15] الذي التحق بتونس سنة 1932، وزاول دراسته بجامع الزيتونة[16] لمدة ست سنوات، ليتخرج منه بشهادة التطويع[17]، وقد كان ذلك سنة 1930[18].

وهكذا استمر التدفق لأجل مواصلة التعليم بتونس من أبناء المنطقة عبر كامل أنحاءها وحواضرها لما كان لهذه العشرية من أثار بدءا من عودة بعض الشيوخ، و تباعا للسياسة الاستعمارية المتبعة في اضطهادهم. كما شهدت هذه العشرية حدثا هاما تمثل في إعلان أحد أقطاب الطرق الصوفية وهو الشيخ الهاشمي الشريف حبس أملاكه لسبيل العلم، وبعث أبناءه إلى جامع الزيتونة جاعلا لكل من يتطوع منهم – أي يتحصل على شهادة التطويع – الحق في الإشراف على زاوية من الزوايا القادرية. كما وضع مراقبين يتحسسون أحوالهم في الحضور، والغياب عن الدروس، بالإضافة إلى تخصيص راتبا شهريا يضاهي راتب مدرس من الطبقة الثانية بجامع الزيتونة لكل منهم، وقد أبرم ميثاق هذا الحبس في كراس سنة وفاته[19]، وهذا يوم 23 سبتمبر 1923[20]. لكن ما يستدعي الوقوف عند هذا الموقف هو تحالف الفقهاء الجامدين، وشيوخ الطرق المدجلين على تنفير النّاس، وتزهيدهم في الهجرة إلى جامع الزيتونة، لأن

المتخرجين منه يقفون بالمرصاد لما في الزوايا من بدع وضلالات يعتقدها العوام، ويعملون على ترسيخها على أساس أنها سنن حميدة، وهي لا تمت للدين بصلة في شيء. كما كانت زاوية الشيخ الهاشمي ببسكرة قبل وفاته تقوم بتدريس الطلبة على يد الشيخ علي بن إبراهيم العقبي، ومن أهم طلابها نجد الشيخ حمزة بوكوشة حين يصف نفسه أنه أصغر الطلبة سنا بالإضافة إلى شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة والشيخ عبد العالي الأخضر وغيرهم[21].

ومن هذا نلاحظ أثر التطورات التي شهدها المغرب العربي خلال العشرينات نتيجة الهزات العنيفة التي فجرها التصادم مع المدّ الاستعماري وتغلغله في العالم الإسلامي[22]، وقد شملت هذه الهزات كل جبهة من جبهات المقاومة الوطنية ثورة مسلحة، أو انتفاضة سياسية أو دعوة إصلاحية، أو تفجر فكري أدبي يبعث على مراجعة المسلمات، ويتجاوز الرتابة وينشد الثورة على السكون[23]. وبالفعل لقد كان للشيخ الهاشمي الشريف موقفا من المستعمر تجاه سياسة التجنيد التي عزم على تنفيذها بموجب قانون شهر جويلية 1917م ، والذي أدرجت من خلاله منطقة الجنوب التي أصبح أهاليها مطبق عليهم التجنيد، حيث كان التجنيد قبل هذا التاريخ لا يعني شبابهم، فما كان على الشيخ الهاشمي إلا مناهضة هذا القانون فدعا إلى انتفاضة يوم 15 نوفمبر 1918[24]. ومنذ تلك الحادثة تغيرت نظرة الشيخ لقضايا عديدة كان يشوبها كثيرا من الغموض ومنها تقريب وجهات النظر بين الطريقتين القادرية والتجانية، ومحاولة توسيع زاويته وإنشاء فروع لها في الوطن[25]، وقد تجسد ذلك المسعى خاصة بعد عودة الشيخ عبد العزيز الشريف[26] الابن الأصغر للشيخ الهاشمي سنة 1923 من الزيتونة، وقد تحصل على شهادة التطويع سنة 1922[27]. علما انه التحق بجامع الزيتونة سنة 1913م[28]، وهو قد صاحب ثلة من طلبة الزيتونة الذين كانوا نتاج البعثة الأولى التي سعى الشيخ ابن باديس لإرسالها سنة 1913 لو لا ظروف الحرب التي حالت بينهم. لكن بعد أن وضعت الحرب أوزارها عاودت هذه البعثة تكميل دراستها، فتخرجت سنة 1924، فكانت ثلة من خيرة علماء الجزائر ومجاهديها، ومصلحيها من أمثال: محمد السعيد الزاهري، وصالح بن يحي، ومبارك الميلي، وأحمد توفيق المدني، ومحمد خير الدين، وغيرهم كثير[29].

وهم قد تزامنوا في وجودهم مع وجود الشيخ عبد العزيز الشريف مما يدل على وجود صلات ساهمت في دفع الشيخ عبد العزيز إلى تعيين الكثير منهم مدرسين بالزوايا المتفرعة عن زاويته

بعميش بوادي سوف، فعين الشيخ محمد السعيد الزاهري بالأغواط في سنة 1926. كما حاول تعيين الشيخ مبارك الميلي بزاوية الأغواط[30]، غير أن معارضة الشيخ مبارك للطرق حال دون تلبية العرض[31]، وقد تناولت هذه العلاقة مجلة الشهاب في عددها 49 المؤرخ في 10 صفر 1345هـ – 23 أوت 1926م[32]. كما كان الشيخ الصديق بن عريوة مدرسا بزاوية تقرت، والشيخ المدكالي مدرسا بزاوية بسكرة. وعلى هذا الأساس نلاحظ أن هناك تمايزا بين وادي سوف، وغيرها من مناطق البلاد، حيث عدّ هذا الفعل من طرف الشيخ عبد العزيز انقلابا عن المسار الطرقي من اجل تقويمه وإصلاحه من طرف الأب والابن، رغم ما كان يحيط بالحركة الإصلاحية في مهدها من عراقيل كان أصحاب الطرق الصوفية طرفا فيها.

وهكذا كانت وادي سوف تنبض بالحياة معلنة بذلك عن دورها في المشاركة في هذه التقلبات من المواقف المعتدلة إلى الإصلاح مثل: الشيخ محمد بن السايح اللقاني الذي اجتذبته حركة الأمير خالد، والشيخ عمار بن الأزعر الذي اعتنق المبادئ الإصلاحية وجاء يبثها بين طلبة العلم بقمار[33]. كما وجد مجموعة مثقفة مرتبطة بالحركة الصحفية، حيث كان هناك مراسلين لبعض الصحف الوطنية، ومن هؤلاء نجد: سالم بن الطاهر بن سلمي مراسل الشهاب سنة 1926، ومحمد بن خالد مراسل مجلة الشهاب سنة 1927، والطاهر محمد مراسل نفس المجلة سنة 1928[34]، وساعي (الزقم) وغيرهم كثير من أبناء المنطقة الذين حاولوا من خلال مساهمتهم هذه تفعيل الوسط الثقافي بالمنطقة. وهكذا كانت وادي سوف تعيش حالات التأهب، والنهوض كغيرها من المناطق الجزائرية معلنة بذلك عن بداية عهد يتسم بملامح المناهضة، والدفاع المستميت عن قضايا تمثلت في الثلاثينات في شعار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين " الإسلام ديننا – والعربية لغتنا – والجزائر وطن "، فكانت هذه القضايا هي الشغل الشاغل الذي يؤرق مضاجع الجزائريين.

2 – ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وميادين ومجالات نشاطها بوادي سوف:

أ – ظهور الجمعية بوادي سوف:

إن ظهور جمعية العلماء المسلمين بالجزائر كان نتاج جهد استغرق عقد العشرينات، وهذا انطلاقا من الحركة الصحفية التي شهدتها الجزائر من خلال المنتقد والشهاب للشيخ عبد الحميد بن باديس، والإصلاح للشيخ الطيب العقبي[35] وصدى الصحراء لأحمد ابن العابد العقبي[36].

فمن خلال هذا التعدد في صدور الصحف كانت الوثبة التي ثمنتها زيارات الشيخ عبد الحميد بن باديس لشخصيات عديدة من أبناء الوطن كان من بينهم: الشيخ الطاهر العبيدي. كما كانت الحركة التعليمية المتأججة والتي كانت وجهتها جامع الزيتونة المعمور، والتي بدورها ساهمت في إبراز أقلام ثاقبة راحت تبشر بالعهد الجديد الذي بات الهاجس الوحيد والأهم للعديد من شباب وشيوخ الوطن، ومن خلال هذه الأصوات المتعالية نجد صوت محمد الأمين العمودي الذي التحق بمدرسة الأهالي بالوادي سنة 1902[37]، وفي السن السادسة عشر من عمره زاول الدراسة بالمدرسة الفرنكو- إسلامية بقسنطينة ذات التعليم المزدوج العربي والفرنسي[38]، لكن الروح الوطنية الثاقبة، والتكوين العربي الأول – والمتمثل في تلقي القرآن الكريم في الكتاب بوادي سوف – جعله يحافظ على انتمائه الحضاري العربي الإسلامي، ويستطيع الربط بين ما قد تحصل عليه في المدرسة "الفرنكو-إسلامية".

ومما زاد في رغبة محمد الأمين العمودي للدعوة إلى الحركة الإصلاحية التي اعتبرت امتدادا أصيلا للنهضة العامة التي اجتاحت العالم العربي والإسلامي، وهذا أثناء وجوده ببسكرة، حيث يقول محمد الأخضر عبد القادر السائحي: « كانت بسكرة تضم نخبة صالحة من الأدباء والمثقفين، ومن الفقهاء والمتعلمين من أبناء الزاب، ووادي سوف ووادي ريغ، ووادي مزاب المقيمين بها، أو المترددين عليها، وعلى رأسهم الشيخ الطيب العقبي ومحمد الأمين العمودي والحكيم سعدان الذين كانوا واسطة العقد الثمين المتألق في جيد عروس الزيبان (بسكرة النخيل).

تزعم الشيخ الطيب العقبي الدعوة الإصلاحية والأمين العمودي الحركة الأدبية والدكتور سعدان الأمور السياسية...»[39].

وعلى هذا الأساس كانت مساهمة الأمين العمودي في الكتابة الصحفية خاصة في جريدة الإصلاح للشيخ الطيب العقبي جملة من المقالات حول اهتمامات، وانشغالات الأهالي في علاقاتهم بالوجود الفرنسي وسيادتها من منظور الفكر الإصلاحي الذي كان يعتمد على المرجعية الإسلامية الأولى (زمن السلف الصالح). وقد شملت مقالاته كل القضايا الأهلية من طرقية وتدنيس، والمرأة المسلمة والدين، والفلاحة. وكانت هذه القضايا التي يطرحها تنطلق من جدلية الفعل والواقع، وردود الفعل، والبحث عن أصول وأسباب تداعيات هذه القضايا، وقد

عمد الأمين العمودي على دراستها تحت عنوان المسألة: المسألة الطرقية – المسألة الدينية – مسألة التدنيس – مسألة المرأة المسلمة – المسألة الفلاحية[40].

والأمين العمودي لم يكن لوحده الداعي الى الفكر الإصلاحي، بل كان رفقة ثلّة من أبناء جيله، فما إن بزغت الاحتفالات المئوية بمرور قرن عن استعمار الجزائر حتى طفت فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على سطح الواقع، حيث جاء في مجلة الشهاب نصا كتبه محمد السعيد الزاهري يصور من خلاله رغبة الجزائريين التواقة لحضور المؤتمر التأسيسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي[41]: « وعقد المؤتمر في نادي الترقي، وغصَّ هذا النادي بالوفود القادمين من أطراف البلد وتنازل الأعضاء من سكان العاصمة وضواحيها عن أمكنتهم وكراسيهم لضيوفهم وإخوانهم الوافدين، واكتظ النادي، وامتلأت مدرجاته الفسيحة. واكتظ كل ما فيه من رحاب وأبهاء، وغرف وحجرات، واكتظت المماشي والممرات، وامتلأ السلم وكل ما يحيط بالنادي من المقاهي والساحات. وكان ضروريا الخضوع للأمر الواقع، واستعمال عدة مكبرات للصوت. ولو أنت أحصيت كل هؤلاء الحاضرين لأحصيت منهم في الأقل خمسة آلاف».

وقد كان حظّ علماء سوف وفيرا في الدعوة إلى الحضور لهذا الصرح، حيث نقل الدكتور أبو القاسم سعد الله عن المرحوم الشيخ الهاشمي حسني عام 1980: « أن الدعوة وجهت للجميع من علماء الوادي منهم: الشيخ إبراهيم العوامر والشيخ الطاهر العبيدي، وأخوه أحمد العبيدي والشيخ الميداني موساوي، فلم يحضر سوى الشيخ عمار بن الأزعر»[42]. وقد كان الشيخ عمار بن الأزعر يقاوم الوضع الذي كان سائدا بسوف من تخلف، وفساد. وهذا منذ عودته من جامع الزيتونة سنة 1343هـ / 1925م، حيث يقول الشيخ عمار ابن الأزعر: « ثم عدت لابتداء صفحة أخرى من الجهاد المقدس في نشر عقيدة السلف والدعوة إلى الرجوع إلى كتاب الله والسنة ومحاربة البدعة والضلالة وكنت أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين »[43]، ولم يكن الشيخ عمار بن الأزعر وحده محاربا للبدعة والخرافة، بل وجد عددا من العلماء الذين حاولوا مقاومة الوضع وإن كانوا قد اختاروا الطرق الصوفية ملاذا للانطلاق في إقامة المشروع الإصلاحي.

كما أن وصول الجرائد والصحف التي كانت تأتي من حاضرة بسكرة كان عاملا مساهما في التعرف على أراء الأمين العمودي الإصلاحية، وباعثا إلى روح الاعتزاز بها، فقد كانت هذه

الصحف والجرائد تملأ الأفاق رحبا، خاصة كل من قمار والزقم باعتبارهما حاضرتان تؤمان خيرة أبناء المنطقة. وعلى هذا الأساس حضر مؤتمر تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كل من: الأمين العمودي والشيخ عمار بن الأزعر، وحمزة بوكوشة، حيث كان للأول منهم دور فاعل في الإعداد لتحرير القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين كونه رجل قانون[44]. كما وصلت دعوات كثيرة لشيوخ كثر قد حال بينهم وبين السفر العناء، أو التجهم لكون الفكرة لم تتخمر لدى الكثير منهم، وهذا ما قد صرح به حمزة بكوشة في قصيدته التي رثى بها شيخه إبراهيم العوامر، أن شيخه أشاد وأثنى عن دور جمعية العلماء. هذا سمح للمنطقة أن تشارك بقسط وافر، رغم قلة السكان وبالنظر للنفوذ الواسع للطرق الصوفية خاصة التجانية، والنظام العسكري الذي كان يسود البلاد، حيث كانت المناطق الجنوبية ذات نظام عسكري. هذا حال دون تمكن دعوة جمعية العلماء من التوغل بقوة إلى المنطقة إلا بعد عودة بعض طلاب المنطقة من جامع الزيتونة ابتداء من السنوات 1933 – 1934[45]. لكن رغم ذلك إلا أن الفكر الإصلاحي كان حاضرا بقوة، وفي وقت مبكر على يدّ كثير من الرواد من أمثال الشيخ عمار بن الأزعر الذي كابد في سبيل هذا الفكر الاضطهاد والتضييق، ثم ما لبث أن ضاق مرارة الاغتراب الذي اختاره على مضض[46]، وهو يصف الوضع قائلا: «... وكنت أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين ورئيسا لشعبتها في جنوب الجزائر.

وقد لقيت في نشر الدعوة في تلك الأيام ما يلاقيه أمثالي من جور الاستعمار وإخواني من الطرقيين يعرف ذلك أهل تلك البلاد ... ودامت الصفحة من الجهاد أحدى عشرة سنة ثم أعقبت ذلك الهجرة إلى البلاد المقدسة خوفا على الأهل والذريّة من الفتن وذلك سنة 1353هـ»[47].

ورغم ذلك الوضع المتعثر للحركة الإصلاحية بوادي سوف إلا أن بعض التقارير الإدارية كانت ترى أن هذه الحركة تشكّل موضوع قلق للسلطات الإدارية بالجنوب، ففي هذا الشأن هناك مراسلات من طرف سلطة المستعمرة بالمنطقة (مارس 1935) مبعوثة إلى الولاية العامة بالجزائر جاء فيها: «إذا كان نشاط رجال ابن جلول لا يشكل في الوقت الحالي خطرا كبير فيها يتعلق بالجنوب،فإن نشاط العلماء المصلحين السري يجب أن يلقى كل العناية»[48].

وقبل هذه المراسلة كانت السلطات العسكرية بملحقة الوادي قد أعلمت القائد العسكري

بمنطقة تقرت بتوزيع إحدى المنشورات وهي " شهادة لصالح " جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي كان من المفروض أن يمضيها أعيان المنطقة[49]. وقد كانت هذه الإمضاءات عبارة عن مساندة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث كانت هذه المنشورات قد أمضيت من طرف العديد من النواب خاصة نواب عمالة قسنطينة؛ قصد الدفاع عن الجمعية، ومحاولة ردّ التهم عليها، والتي وجهت لها إثر الاضطرابات التي شهدتها الجزائر خلال سنتي 1933 – 1934[50]. وهكذا اتسع نطاق الحسّ والتفاعل مع الحركة الإصلاحية بالجزائر، فكانت وادي سوف من المتأثرين، فتشكلت لجنة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد تكون الشعبة التي تكلّم عنها الشيخ عمار بن الأزعر حينما قال: «... وكنت أحد المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين ورئيسا لشعبتها في جنوب الجزائر. »[51]، وقد تشكلت هذه اللجنة " الشعبة " من: الشيخ عمار بن الأزعر، وحمزة بوكوشة، وعبد الكامل بن عبد الله النجعي، والهاشمي الدراجي، والهاشمي بن حميدة (حسني)[52]، في حين كان تأسيس شعبة الوادي نتاج مساعي التاجر عبد الكامل النجعي[53]، حيث استطاع أن يلمّ حوله عددا من مؤيدي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم ذهب إلى إنشاء شعبة بالوادي، واستطاع الوصول إلى غرضه بعد مرور حمزة بوكوشة بالوادي في إحدى زياراته لها[54].

وهكذا بدأت دائرة الإصلاح تتسع بوادي سوف خاصة في كل من الزقم وقمار، والوادي. وهذا كله كان نتيجة عودة الكثير من طلبة الزيتونة إلى وادي سوف، ومباشرتهم للعب دور التعليم والتوعية، والدعوة إلى الإصلاح قصد مناهضة الاستعمار ومكابدة جرائمه المقترفة في حقّ الأهالي خاصة رجال الإصلاح بالمنطقة. لكن ما يلفت الانتباه أن كثيرا من الساعين في دعم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بالوادي المركزي هم أولئك الذين اخذوا تعليمهم الابتدائي بالمدرسة الأهلية بالوادي، وقد تحصلوا في غالبهم على شهادة نهاية الابتدائي، ومن بينهم: عبد الكامل النجعي، والهاشمي ابن حميدة (حسني). وهكذا كان دور كل من الأمين العمودي وحمزة بوكوشة، والشيخ علي بن سعد خيران، خاصة في مجال الصحافة، حيث برزت مساهمات الأمين العمودي منذ أن كتب في جريدة النجاح في عددها الأول[55] التي أصدرها الشيخ عبد الحفيظ بن الهاشمي سنة 1919، وغيرها من الصحف والجرائد ذات اللغتين[56] – العربية والفرنسية –، ليساهم في أصدار جريدة الجحيم كردّ فعل على جريدة المعيار المعارضة لجمعية العلماء المسلمين

الجزائريين[57] مع الشيخ السعيد الزاهري رغم معارضة كل من الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الطيب العقبي، والشيخ مبارك الميلي لان هذه الجريدة جاءت بلهجة سليطة ردًّا عن المنتقدين لجمعية العلماء المسلمين، وقد صدرت بقسنطينة سنة 1933[58]، لينته به المطاف عند إصداره لجريدته الدفاع (La Défense) سنة 1934[59]. والشيخ علي بن سعد الذي ساهم في هذا الحقل من خلال إصدار جريدة الليالي بالعاصمة في شهر فيفري 1936[60]. وقد جاء في التعريف بها:

الليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة.

نشرة فكاهية انتقادية أدبية، تصدر مرتين في الشهر، المدير المحرر علي ابن سعد[61]، وقد كانت توجه سهامها إلى إدارة الشؤون الأهلية التي كان يديرها المستشرق الفرنسي "ميو"، ولكن يبدو أن الشيخ حمزة بوكوشة كان مساعدا على نشرها و تحريرها ، وإن لم يؤت ذكر اسمه على واجهة الصفحة الأولى من الجريدة، في حين سعى الشيخ سعد والشيخ حمزة إلى أن يكون صاحب الامتياز هو " جوكلاري محمد الشريف " محتمين به لجنسيته الفرنسية وضمان نزعته الوطنية الإصلاحية[62]. ومن بين هذه المواضيع الفكاهية الانتقادية نجد الموضوع المتصدر للصفحة الأولى للجريدة العدد 12 بعنوان " الخنجر الشيوعي تحت باقة وردة الصداقة " للمحرر[63]. وهكذا تعددت مساهمة أبناء المنطقة ممن تواجد خارج وادي سوف، فكانت هذه الأدوار بمثابة المحفز لسعي المتبقين في المنطقة إلى استيعاب فكر جمعية العلماء المسلمين، ونشر أفكارها، وهذا أمام مواجهة كل من الطرقيين والسلطة الاستعمارية، حيث أن كل من اشتمت فيه رائحة الدعوة أو التعاطف، أو الاتصال بجمعية العلماء المسلمين، أو أحد ابرز أعضائها كان مصيره النفي والإبعاد، وهذا مصير جميع أقطاب الإصلاح بالمنطقة، حيث وجدوا متنفسا لهم في بسكرة الحاضرة الأكثر قربا من وادي سوف، أو حتى تونس مثل الشيخ محمد بن السائح اللقاني[64]، وهذا ما أقره الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال بعنوان: "«...وفي سبيل الله ما لقيت» اضطهاد جديد" حيث جاء في مقدمته: « يلقى أعضاء جمعية العلماء العاملون – وهم الطائفة القائمة على نشر تعليم الإسلام للصغار والكبار – ما يلقون من أنواع المعاكسة والاضطهاد، وأكثرهم في ذلك – والحمد لله – صابرون محتسبون، وأقلهم بالتقية معتصمون. فإذا طلبوا رخص التعليم أو غيرها من مصالحهم حسب القانون فوجئوا بالسؤال عن عقيدتهم

وما تنطوي عليه صدورهم، وعن آرائهم وأفكارهم، وهل هم من جمعية العلماء ؟ وهل قرأوا على ابن باديس ؟ وهل قرأوا على بعض تلاميذه ؟ وهل عرفوه ؟ وهل هم مشتركون في " الشهاب "؟ وهل هم مشتركون في البصائر؟ فإذا عرفوا منه أو عنه شيئا من هذا تجهموا له ورفضوا طلبه وعرقلوا أعماله وعاكسوه في مصالحه الخاصة وكان عندهم من المبغوضين »[65]، فكانت ثلة من جماعة الإصلاح بالمنطقة قد ساهمت في نشر حركة الإصلاح في العديد من حواضر الزّاب نتيجة العلاقة التي تربط هؤلاء بأصدقاء لهم في الدراسة بجامع الزيتونة المعمور بتلك المناطق.

وعلى هذا الأساس ظلت موجة الإصلاح تتزايد من حين لآخر لتعم أرجاء المنطقة بكاملها، وهذا وفق الإحصائيات التي قدمها الدكتور أحمد نجاح خلال دراسته للمنطقة – دون أن ننسى الوضع المعاش الذي دعا بالكثير منهم إلى التستر دون الإفصاح عن ميولهم، أو تعاطفهم مع الحركة الإصلاحية – حيث جاءت كالآتي: ففي حاضرة الزقم كانت نسبة قبول الحركة الإصلاحية لدى الأهالي البالغ عددهم 7000 ساكنا تزيد عن 100٪، وفي قمار وصلت النسبة إلى 50٪ من أصل 10150 ساكنا – أي نصف سكان قمار –. أما في حاضرة الوادي فكانت النسبة أقل بالمقارنة للحاضرتين السابقتين، وكان أغلب الإصلاحيين بالوادي ينتمون إلى عرش أولاد أحمد، حيث كان عددهم في تلك الأثناء 600 ساكنا؛ أي 7.5٪ من سكان أولاد أحمد و0.05٪ من كامل سكان الوادي. أما بكونين والرقيبة فقد وجد فيهما ما يتراوح بين 200 إلى 300 مصلحا، وهذا لكون هاته المناطق متأثرة بالطرق الصوفية كالتجانية والقادرية، والعزوزية (الرحمانية) [66].

وهكذا أخذت الحركة الإصلاحية تتوغل في أوساط الأهالي من أجل مناهضة الاستعمار من جهة، ونفض الغبار والاستهانة الذهنية من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس كانت المواجهات المتكررة بين الإصلاحيين، وأصحاب الطرق الصوفية، ومن بين هذه المواجهات اعتبار الأسر ذات الانتماء الإصلاحي أسر مغضوب عليها من طرف الأهالي، فيذكر الشيخ الهاشمي بن حميدة (حسني) أن بيتهم كان عرضة للمحاجرة، حيث كان المارة من الحي أو القادمون من عميش يحاجرونهم بدعوى الحصول على الأجر لأنهم " بني عصرون "، وهذا بإيعاز من بعض العوام من مريدي الطرق الصوفية.

وعلى هذا الأساس حاول الإصلاحيون السير بخطا متثاقلة في جهة، ومتسارعة في منطقة

أخرى من ربوع وادي سوف، وهذا بحسب متطلبات الظروف المحيطة بكل منطقة قصد الوصول إلى مبتغى مفاده النهوض وتحقيق هدف نبذ الاستعمار، والجهل والخرافات معا. وقد تجسد ذلك عن طريق الصحف والجرائد التي كانت تتوافد على المنطقة باستمرار مثل: مجلة الشهاب وجريدة البصائر، وغيرهما[67] ويذكر الأستاذ حمزة بوكوشة منوها بقمار:« ورواج الصحافة العربية بهذه البلدة (قمار) أكثر منها ببلدان سوف، وبالأخص بلدة الوادي التي ابتلاها الله بنفر ممن ينفّرون الناس جهدهم من تناول الصحافة العربية على اختلاف مبادئها، ويتلون على ذلك قوله تعالى ﴿ وَ مِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِ لَهْوَ الحَدِيثِ﴾ [68]، وهذا هو التفسير بالرأي عياذا بالله منه »[69]. لكن رغم هذا استمر صوت الإصلاح يرن في المناطق كلها حتى أصبح ذا شأن كبير عند إعلان أحد أقطاب الصوفية إنتماءه للإصلاح ألا وهو الشيخ عبد العزيز الشريف، وهذا بالإفصاح عن رغبته في الانتماء إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1937، ليكون لهذا الموقف شأنا عظيما بالمنطقة.

أ – ميادين ومجالات نشاطها:

إن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف كان يعتمد اعتمادا كبيرا على مجهودات الأفراد دون الاعتماد على النوادي أو مقرات ذات صبغة قانونية، و هذا نتيجة الوضع العام الذي كانت تعيشه المنطقة ، مما شجع كثيرا من الإصلاحيين بوادي سوف في العمل على ابتكار ميادين ومجالات لتنشيط حركية الإصلاح. ومن هذه الميادين والمجالات نجد محل التاجر عبد الكامل النجعي بسوق الوادي، حيث كان هذا المحل شبه مقر يؤمه الإصلاحيون في كل حين، بل كانت هناك لقاءات راتبة تجمع رواد الإصلاح بالمنطقة بنفس المتجر لكون صاحبه من مثقفي المنطقة وقدرته على المطالعة باللغتين العربية والفرنسية هذا كان كافيا لجعله قادرا على الإلمام بمجريات الأحداث نتيجة معايشته للواقع من خلال الصحف والجرائد وعلى هذا الأساس كان متجره محل لقاءات للعديد من الشخصيات من أهمهم: الشيخ الهاشمي الدراجي والهاشمي حميداتو، وغيرهم من أعضاء الإصلاح. كما كان يوفد عليهم حمزة بوكوشة كلما قدم إلى الوادي.

وقد كانت السلطات الفرنسية تولي اهتماما بالسيد عبد الكامل النجعي لنشاطه الحثيث، حيث ضربت عليه محاصرة غير معلنة، فكان يخضع للتفتيش هو وجميع الركاب بالحافلة العازمين

السفر لبسكرة قصد إلتقائه بشيوخ الإصلاح، وجلب جرائد الإصلاح كالشهاب والنجاح، والبصائر فيما بعد، لكن هذه المضايقات المتكررة جعلت السيد عبد الكامل يهتدي إلى وسيلة مفادها تكليف شخص يجلب هذه الصحف أسبوعيا من بسكرة، وهو السيد " بشير البهلي " من السيد " يوسف العمودي " أخ محمد الأمين العمودي. أما خروجه من الوادي كان صوب تبسة نتيجة عدم اشتداد المراقبة العسكرية على الطريق أقل من طريق بسكرة، فكان سفره هذا من أجل الالتقاء بالشيخ العربي التبسي للتشاور معه في قضايا تهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وعليه فإن متجر عبد الكامل النجعي كان بمثابة نادي يؤم رجال الإصلاح بالمنطقة، وهذا لكونه يتواجد بالسوق، فكان هذا الأمر مسهلا للقاءات الدورية رغم محاولات التصنع بالسرية الدائمة واليقظة لكون أمر الإصلاح منذ ظهوره أمرا مقلقا للسلطات الفرنسية.

أما بتكسبت فقد كانت ثلة من المصلحين الذين يطلق عليهم ببني عصريون يتخذون من أحد المنازل بالحي مقرا لهم للالتقاء به في الليل قصد الاجتماع فيه، والمذاكرة، ومن هؤلاء نجد عبد الحفيظ صالحي[70]، والطيب فرحات احميدة، والبشير بن بردي والحاج العربي فرحات احميدة، وهم يشكلون الأعضاء الأساسيون لشعبة جمعية العلماء بتكسبت، كما كان يحضر هذه اللقاءات السيد عبد القادر عليلة، حيث كان هذا البيت مكترى من طرف هؤلاء، ليستغل في الصباح كمدرسة حرة لتحفيظ القرآن الكريم وتلقين علوم الدين واللغة. غير أن ما يتسم به هذا العمل في اختيار الليل ملاذا، والحرص الشديد للسرية التامة قصد التكتم، وعدم الإفصاح نتيجة العداء الذي كان يكنه الكثير من سكان الحي لهؤلاء الإصلاحيين، لتفشي الطرقية تجانية وقادرية. أما بقمار فقد كان لكثير من رجال الإصلاح الرغبة الجامحة في الإفصاح على خلجاته الإصلاحية دون تلكك أو تهيب، وهذا انطلاقا من الشيخ عمار بن الأزعر الذي رفع صوت الإصلاح قبل بزوغ نجم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ليدعم فيما بعد بكوكبة من الشباب النبيل خريج جامع الزيتونة، وهم كثر أهمهم: الشيخ عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد، والشيخ محمد الطاهر التليلي، رغم الوضع الطرقي الذي كانت تعيشه قمار غير أن نسبة الإصلاحيين كانت تقدر بـ 50٪ من سكان البلدة. وفي بلدة الزقم كان للإصلاحيين دور فاعل في تنشيط الحركة الإصلاحية، وهذا نتيجة النسبة العالية التي تزيد عن 100٪ من مجموع سكان البلدة[71]، هذا بدوره جعل الحركة الإصلاحية بالزقم تعمل دون تكتم. وقد تمثلت هذه الكوكبة

الإصلاحية في شخصيات عديدة من أهمها: الشيخ " عبد الرحمان معمري والشيخ مسعود عباسي، والحاج فرج و محمد أم الهناء والشيخ الطاهر معمري[72]، ولمقدم بن لخضر وإبراهيم كلكامي[73]، وقد تعددت أماكن وميادين نشاطاتهم، حيث شملت المساجد والساحات العامة والأزقة، والمقاهي والمنازل أمثال: منزل بدر الدين ومنزل حناني، فكانت هذه المواقع محط إلقاء الدروس والمحاضرات ومختلف الأنشطة وإحياء المناسبات. وقد كانت هذه الأعمال تقام يوميا خاصة في الفترة مابين صلاتي المغرب والعشاء، حيث توصد الدكاكين والمقاهي ليخرج سكان القرية للحضور والمشاركة في تلقي الدروس خاصة دروس مسجد العدواني المسائية، ما زاد من توتر الأوضاع بالمنطقة وإنزعاج السلطات الإستعمارية، فصبت جام غضبها على القرية والسكان[74].

أما المناطق الأخرى المترامية الأطراف فإننا وجدنا بعض المحاولات تكاد تكون محاولات انفرادية مثل دور الشيخ مصباح حويذق[75]، وقد كان يقيم دروسا مسائية يخصصها لعامة الناس، فكانت تنصب حول الوعظ والإرشاد بمسجد قرية الطريفاوي. وفي قرية الرقيبة معقل الطرقية نجد، والشيخ سي الهادي بالباد (الصخري) اللذان كان لهما دور كبير في الحركة التعليمية بالرقيبة، وقد وصفا هما الآخران ومن والاهما في المنطقة بالعصريين لمناهضتهم البدع والشرك وقد التحقا بجامع الزيتونة. وهكذا كانت وادي سوف تعج بالكثير من هؤلاء الإصلاحيين نتيجة اتساع دائرة الهجرة لتونس للتحصيل العلمي بجامع الزيتونة أو بإحدى معاهده المنتشرة بالجنوب التونسي. أما التأسيس المعلن عنه لشعبة الوادي فقد كان في شهر مارس 1937 قبل زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهذا بحوالي تسعة اشهر[76]، وقد تكون مكتب هذه الشعبة من السادة[77]: الشيخ الأخضر شبرو[78]رئيسا.الهاشمي الدراجي نائبا للرئيس.محمد بن عيسى كاتبا عاما. عبد القادر بن الطاهر نائبا للكاتب العام.عبد الكامل النجعي أمينا للمال.الأخضر قدور نائبا لأمين المال.

كما تشكلت شعبة تكسبت قبل زيارة الوفد وهذا لكون أحد أعضائها كان من مستقبلي وفد جمعية العلماء المسلمين، وهو السيد الطيب بن السيد الحاج عبد القادر بن فرحات[79]. لتشكل فيما بعد شعبتي كل من قمار والزقم أثناء زيارة وفد جمعية العلماء المسلمين[80] وشعبة الرقيبة في نفس الزيارة[81]، وقد تشكل مكتب شعبة الزقم أثناء اليوم الأول لزيارة وفد الجمعية ومرافقيه

لينصب من الأعضاء كالتالي: عبد الرحمان معمري رئيسا. إبراهيم كلكامي نائبا للرئيس. محمد حامد ابدير كاتبا عاما. العروسي حمودة نائبا للكاتب العام. مسعود عباسي أمينا للمال. العربي احمودة نائبا لأمين المال. محمد حامد محضي مراقبا. عبد الله حمودة عضوا مستشارا. محمد بن الحاج حيداني عضوا مستشارا. أحمد ساعي عضوا مستشارا. العزوزي تلية عضوا مستشارا. بوبكر مومني عضوا مستشارا.

غير أن الذي عُرف عن شعبتي الوادي وتكسبت هو التكتم والسرية في العمل نتيجة وضع المنطقة التي تخضع للنظام العسكري، لكن بعد تبني الشيخ عبد العزيز الهاشمي فكرة الإصلاح في شهر أكتوبر 1937م تغير الوضع لهاتين الشعبتين، وغيرهما من الشعب التي تأسست فيما بعد هذا التاريخ[82]. وعليه فإن مجالات ميادين نشاط جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف قد تباينت من بلدة إلى أخرى، ففي الوادي نجدها قد اتخذت متجر السيد عبد الكامل النجعي مقرا لها ثم ما لبث أن تحول المقر إلى الزاوية القادرية بالوادي بالإضافة الى استغلال المنازل مثل ما فعل أعضاء شعبة تكسبت والزقم في حين نجدها في قمار ومنذ الوهلة الأولى استغلت المساجد خاصة مسجد الطلبة الذي أعتبر صرحا من صروح الإصلاح،فقد نوه به الشيخ عبد الحميد بن باديس قائلا: «... وقد كان أعظم مظاهر الإصلاح في قمار حيث سعى المصلحون وجدوا في بناء مسجد عظيم و تأسيس مدرسة للتعليم ... »[83]، وقد كان لهذا المسجد كغير من المساجد العديدة بوادي سوف دور فاعل في نشاط الحركة الإصلاحية، ومن بين هذه النشطات إحياء يوم بدر من شهر رمضان لسنة 1355هـ / 1939م، وقد كان هذا الحفل مساء يوم 16 رمضان 1355هـ، وقد نشط الحفل كلا من السيد عبد القادر الياجوري وهو صاحب الفكرة، ومحمد الحفناوي الخضر[84]، وهكذا تنوعت ميادين ومجالات نشاط الإصلاحيين حسب كل منطقة وتباعا للوضع السائد بها، حيث نلاحظ النشاط الواسع والمكثف ببلدة الزقم التي كانت تعجُّ بالإصلاحيين بنسبة تزيد عن 100٪[85]، لكن هذا كلفها الكثير من المضايقات والتضييق على سكانها، وعلى العموم فأن نشاط جمعية العلماء المسلمين لم يعدم الوجود لكون وادي سوف حاضرة ذات حراك ثقافي نشط، وهذا ما أقرت به الكاتبة الفرنسية "سيللي ميللي"[86]، كما أن وادي سوف كانت حاضرة بثلاث شخصيات من اثنين وسبعين شخصية حضرت تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي رغم الظروف التي كانت تحياها منطقة وادي سوف.

3 – جمعية العلماء المسلمين بين التحامل الاستعماري، والتدافع الطرقي بوادي سوف.

أ – جمعية العلماء المسلمين والتحامل الاستعماري:

عقد الثلاثينات من القرن 20م كان عقد التفاعلات الكبرى للجزائر باعتباره عقد شهد ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا بدوره كان مساعدا لتفعيل الأحداث قصد الوصول بالمجتمع الجزائري إلى مستوى اليقظة والوعي السياسي لتحميله المسؤولية الحضارية تجاه ما هو حاصل، ولهذا كانت الصحافة نافذة من نوافذ الخوض في هذه المسائل، كي تصل جمعية العلماء المسلمين إلى تحقيق أهداف اشتركت فيها ألوان الصحافة الوطنية عبر مختلف مراحل الكفاح الإصلاحي، وكان من أهمها:

– مناهضة الاستعمار الفرنسي؛ أي إبطال مزاعمه القائمة على فكرة الجزائر فرنسية.

– إظهار البعد الحضاري العربي الإسلامي للشعب الجزائري[87].

وعلى هذا الأساس نما الأدب الإصلاحي من أجل الوصول إلى الأهداف السابقة لإحداث تغيير على مستوى الفكر لدى الفرد الجزائري، وهذا لان الحركة الإصلاحية كانت تهدف في المقام الأول إلى إحياء المقومات الأصلية للشخصية الجزائرية، ونشر التعليم العربي في تراب الجزائر المستعمرة التي هيمنت عليها المدرسة الفرنسية، ومقاومة التمسيح والتنصير، الاندماج والتدنيس لذلك برز الأدب الإصلاحي في فنون الأدب المختلفة[88]، خاصة على مستوى الصحافة. لهذا كان تطلع الأهلي بسوف دائما مشرئبا إلى ما سيأتي من بسكرة من صحف وجرائد تفصح عن واقع الصراع القائم بين رجال الإصلاح والسلطة الاستعمارية، رغم السياسة التي اتبعتها فرنسا، حيث مارست كل أنواع الأساليب التعسفية تجاه الأهالي خاصة سكان الصحراء، مما أدى بالمصالح التجارية إلى التعطل، حيث أصبحت تحت نفوذ وسيطرة المستعمر الفرنسي، والموالين له. بالإضافة إلى الهجرة الجماعية التي كانت وجهتها نحو كل من تونس والمغرب، وبعض الدول الإفريقية[89].

غير أن منطقة وادي سوف وقربها من تونس ساعد على عدم اتخاذ الهجرة مبدأ يقضي بالانسحاب والاستسلام النهائي، بل ظلت محاولات التواصل قائمة باستمرار خاصة هجرة الطلبة [90] إلى تونس العاصمة حيث جامع الزيتونة العامر. بالإضافة إلى فك العزلة النسبي لوادي سوف منذ العقد الثالث من القرن 20م، وذلك بإقامة طرق معبدة كان أولها الخط الرابط

بين الوادي وبسكرة، هذا ما شجع عن التنقل والحركة[91]. كما كان نشاط الحركة الإصلاحية بوادي سوف قائما رغم الطابع السري الذي كان يغلب عليها في كثير من المناطق، لكن هذا لم يمنع بعض رجال الإصلاح من إبراز مواقفهم والتصدي للبدع والخرافات، وهذا من خلال موقف الشيخ عمار بن الأزعر لاعتبار أن الحق مع المجاهرة والتصدي للأشخاص الذين يحولون بين الحق والناس، لهذا وجدناه متنقلا عبر مساجد عديدة من مساجد بلدة قمار معلنا مواقفه صراحة، هذا كلفه المضايقة، والمحاصرة الدائمة مما اضطر به إلى اختيار الهجرة إلى البقاع المقدسة قبل قدوم وفد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في زيارته لوادي سوف. فقد كان الشيخ محاربا للبدع والضلالات، والمفاسد الأخلاقية السائدة بالمجتمع، والأفكار الطرقية المنحرفة، والسياسة الاستعمارية المستبدة، وهذا ما جعله يترك في نفوس العديد من أهل قمار الأثر البالغ، بل حتى مناطق أخرى من وادي سوف، وقد كانت هجرته نحو المدينة المنورة سنة 1937[92]. لكن بمجرد إعلان الشيخ عبد العزيز الشريف انضمامه إلى جمعية العلماء تغير الوضع عامة، وقد تعود أسباب هذا الانقلاب إلى:

– الثقافة العربية التي نهل منها الشيخ عبد العزيز بجامع الزيتونة العامر.

– علاقة الشيخ بقيادات الحركة الوطنية التونسية الذي استمر تواصله معهم دون انقطاع بعد تخرجه من الزيتونة، وهذا من خلال مراسلاته لهم دون توقف وإبداء التعاطف معهم في كل ضائقة تلم بهم.

– صلته الوثيقة بزملائه الزيتونيين الجزائريين الذين تزامنت فترة دراستهم بفترة دراسته بجامع الزيتونة العامر، وتوطيد علاقاته مع البعض منهم الذين بدورهم أصبحوا في عقد الثلاثينات من القرن العشرين للميلاد زعماء الإصلاح في الجزائر حيث كان منهم الشيخ مبارك الميلي، والذي تربطه بالشيخ عبد العزيز الشريف علاقة حميمة جعلت الشيخ مبارك الميلي ينتقل إلى الأغواط بوحي من الشيخ عبد العزيز ليشتغل فيها مدة زمنية ما معلما ومرشدا، وداعية إلى إصلاح أمور المسلمين. قد يكون التأجّج الذي عم مناطق الجنوب الجزائري بعد انعقاد المؤتمر الإسلامي[93] دافعا من الدوافع التي جعلت الشيخ عبد العزيز يترك الطرقية وليتحق بالإصلاح. علما أن الشيخ عبد العزيز لم يكن مرتاحا لمشيخة الطريقة القادرية في سوف، وهذا ما تؤكده الوثائق بأنه أبدى بنيته صراحة في التخلي عن مشيختها في سنة 1929، وهذا حسب ما صرح به

لأتباعه: « أنه لم يعد يرغب في البقاء على رأس الزاوية »، غير أن أتباعه ومريديه لم يوافقوه على هذا الأمر ضاغطين عليه بالتراجع عن قراره هذا. كما أن رحلته إلى الحجِّ سنة 1936 جعلته يطيل البقاء لمدة استغرقت بضعة أشهر باحثا ودارسا، ومستفسرا عن أحوال العالم الإسلامي قاطبة، هذا ما جعله يتفطن للأمر الذي بات يؤرقه مرارا وتكرارا[94]. وبالإضافة إلى تأثره البالغ لمقتل الشيخ "كحول"[95]. وأمام هذا الوضع ما كان على الشيخ عبد العزيز إلا أن يختار مصارحة الانضمام إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وعلى هذا الأساس كانت لهذه التفاعلات آثار ومواقف سياسية تجاه الطرق الصوفية، والإدارة الاستعمارية وهذا من خلال عدة أحداث بارزة كان لها وقعها الفاعل على مجريات الأحداث المتعاقبة بوادي سوف، مما يؤكد مدى التحامل الاستعماري ليس على الجمعية بل على مقومات الانتماء الحضاري للأمة الجزائرية، وانطلاقا من الدفاع عن هذه المقومات وجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نفسها في كامل الجزائر تقاوم سياسة التحامل الاستعماري من خلال مساعي الإدارة التي لم تتوانى في عرقلة جهود الجمعية في كافة تراب البلاد، حيث كان من بينها إقليم وادي سوف الذي كان مسرحا لأحداث عديدة ترك أثرا فاعلا في مسار التاريخ الوطني.

ب-الانقلاب الإصلاحي للشيخ عبد العزيز وأثره على جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف:

إن موقف الشيخ عبد العزيز الشريف المائل لصالح جمعية العلماء المسلمين واختيار التيار الإصلاحي السلفي لم يكن عبثا بل جاء بعد تأمل فاحص للشيخ عبد العزيز في مبادئ وأهداف جمعية العلماء المسلمين، فوصول الشيخ عبد العزيز إلى اقتناعه بالانضمام إلى الجمعية، فما كان عليه إلا أن راسل الشيخ عبد الحميد بن باديس في شهر أكتوبر 1937 ببرقية يفصح له فيها عن رغبته في الانخراط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين[96]. فبادر الشيخ عبد الحميد بن باديس بالإسراع في الردِّ عليه بالمثل معينا إياه عضوا فاعلا في مكتب الجمعية مكلفا بمناطق وادي سوف وما جاورها، وهذا جاء على لسان الشيخ عبد الحميد بن باديس في مقال بجريدة البصائر بعنوان "حول كارثة سوف الأليمة: الشيخ عبد العزيز الهاشمي والإصلاح": « وفي السنة الماضية قبل الاجتماع العام كاتبني الشيخ عبد العزيز يرغب مني الانخراط في جمعية العلماء فأجبته بأن الجمعية مفتحة الأبواب لجميع المسلمين، وخصوصا لأمثاله من العلماء. وأحسب أني ذكرت له أن الجمعية تأسست وفي المؤسسين لها جمع كثير من شيوخ الطرق، وأن القانون

الأساسي الذي وضع باتفاق من الجميع ما زال معتمدا هو بنفسه فلما كان الاجتماع العام الماضي رشح للمجلس الإداري بصفته عالما وشيخ الطريقة القادرية فانتخب بما يقرب من الإجماع»[97].

وفي أول هذا المقال أعرب الشيخ عبد الحميد بن باديس عن هذا الموقف بالثناء والتبجيل: « كان الشيخ الهاشمي شيخ الطريقة القادرية – رحمه الله – رجلا قويا ذكيا واسع الحيلة بعيد النظر، فأدرك بثاقب رأيه أن ما عليه الطرقية من الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا في عصر العلم والنهوض، وأن المستقبل للعلم ولا محالة. فولى وجهه شطر العلم، وقدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور، وحبس أملاكه كلها على العلم، واشترط في حبسه أن تعمر زواياه بأهل العلم من أيمة ومدرسين ومتعلمين. واشترط في أبنائه لاحظ لأحدهم في الحبس إلا إذا حصل على شهادة العالمية (التطويع) من جامع الزيتونة، وجعل الإشراف على الحبس لنظارة جامع الزيتونة ... انتهى أمر الحبس إلى الشيخ عبد العزيز ابن الهاشمي بمقتضى شرط المحبس بعد وفاة أخيه الأكبر، وتولى مشيخة الطريقة القادرية، ودخل معه في الحبس أخوه الشيخ محمد الصالح لتحصله على الشهادة، فكان الرجلان بما لهما من العالمية بعيدين عن كل تلك المواقف العدائية التي وقفها شيوخ الطرق الأخرى أو أوقفوا فيها ضد الجمعية »[98]، والشيخ عبد الحميد بن باديس يحاول أن يؤكد لنا عن الحيرة التي كان يعيشها الشيخ عبد العزيز الشريف باعتباره زيتوني التحصيل، لهذا لم يكن موقفه تجاه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين موقف ضد أو اعتراض عليها.

وعلى إثر هذا الموقف الذي أبداه الشيخ عبد العزيز الهاشمي من الجمعية وقبوله المنصب الذي منحه إياه مجلس إدارتها راح الشيخ يكشف عن موقفه الإصلاحي دون تردد بل قد يكون معتمدا استفزاز الإدارة الفرنسية التي ثارت ثائرتها معتبرة الأمر خطيرا ويهدد أمن المنطقة ومناطق الجنوب قاطبة. وعلى إثر هذا الموقف وجدت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نفسها بوادي سوف تنتشر انتشارا واسعا نتيجة السعي المكثف من طرف الشيخ عبد العزيز الشريف، والذي تمثل في تحويل جزء من زاوية عميش إلى مدرسة عصرية على طراز مدارس جمعية العلماء المسلمين[99]، وانتدب لها الشيخين عبد القادر الياجوري والشيخ علي بن سعد خيران[100]. كما قام بفتح مدرسة بالوادي و أنتدب لها من الشيوخ ما يحولها إلى معهد إسلامي يتوفر على الشروط الضرورية، وعلى إثر هذه المساعي التعليمية طالبت الإدارة الفرنسية من الشيخ عبد العزيز

رخصة التعليم فرد عليها الشيخ بأن الزاوية تقوم بدور التعليم من قديم الزمان بدون رخصة وهذا ما أقره الشيخ عبد الحميد بن باديس في المقال السابق حيث يقول: « دعا الحاكم الشيخ عبد العزيز في شأن التعليم وطلب الرخصة وردَّ الشيخ بأن الزوايا من قديم الزمان تعلم بدون رخصة، وتكررت الدعوة وتكرر الأخذ والرد في الأمر، وفهم أن الإدارة مستثقلة لتلك الحركة العلمية ... »[101]. ولم يتوقف دور الشيخ عبد العزيز الشريف في دعم الحركة الإصلاحية، بل استمر إلى ابعد من هذا لأن موقفه من الإصلاح لم يكن من قبيل الصدفة أو التموقع في ريادة سادة أعيان المنطقة، بل من حرصه على القيام بالواجب تجاه الأهالي الذين أصبحوا ينظرون إليه بنظرة القائد المنوط بمسؤولية الذود عنهم والخروج بهم إلى بر النجاة.

فكان هذا الانقلاب بمثابة العامل الموجه للتدافع بين الجمعية، والطرق السوفية، حيث كان إيجابي مع الطريقة القادرية، لكنه مع بقية الطرق الأخرى كان في غالبه سلبي نتيجة المواقف السلبية التي اتخذتها هذه الطرق منذ الوهلة الأولى تجاه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا ما أكدته الأحداث التي شهدتها الجزائر خلال هذه الحقبة المدروسة، حيث لم تتوانى الإدارة الاستعمارية في تهذب هذه المواقف بل نجدها تسعى جاهدة إلى تفعيل هذه الأحداث انطلاقا من مبدأ فرق تسد قصد ضرب البنية الاجتماعية من جهة، وإفشال المشروع الحضاري الذي كانت الجمعية تسعى بكل ما أتيت من إمكانيات إلى تحقيقه، والارتقاء بالمجتمع الجزائري إلى مصاف المجتمعات المتحضرة، وذلك كله من أجل مناهضة الاستعمار الاستيطاني.

ومن هنا وجد الإدارة الاستعمارية حليفا للقضاء على ما تسعى إليه الجمعية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهذا تبعا للوضع الذي عليه الطرق الصوفية، وهذا تبعا لشخصية خليفة الطريقة فكلما كان متنورا كانت طبيعة التدافع بين الجمعية وطريقته اقرب إلى التكامل كل حسب منهجه. وفي حال ما إذا كان الجهل يطبق على القائم بشؤون الطريقة كان الأمر يؤول إلى التخاصم والتنافر.

الخاتمة

إن نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف لم يختلف عن باقي مناطق البلاد المترامية وإنما الاختلاف قد يعود إلى مستوى كل منطقة، وهذا حسب طبيعة الحكم السائد. علما أن وادي سوف إقليم صحراوي فهو يسير بنظام عسكري مما يزيد من حدة وصعوبة المواقف

المتخذة من الجمعية والإدارة الاستعمارية، دون ما أن ننس موقف الطرق الصوفية المتباينة نتيجة الغوغائية السائدة بين ربوع مريديها والجهل المطبق على السواد الأعظم من سكان المنطقة. بالإضافة إلى سياسة فرق تسد والتي تركز الإدارة الاستعمارية العمل بها من أجل التوقيع بين الطرق الصوفية، فما بالك مع جمعية العلماء والطرق.

لكن رغم هذه العراقيل استطاع العديد من أبناء المنطقة المشاركة في تفعيل الجمعية، حيث نجد العديد منهم ساهم في بناء صرح الإصلاح من خلال العديد من الميادين كالتعليم والصحافة. وهذا كله كان نابع من خلال المساعي التي كان الواحد من هؤلاء الذين شاركوا في بناء الإصلاح بالمنطقة، وغيرها من المناطق الأخرى من أرجاء البلاد المترامية. وأمام هذه الجهود التي بذلها هؤلاء.

وعلى هذا الأساس نجد أن دور الأرجاء في تنشيط الجمعية قد يختلف من منطقة إلى أخرى قد يتباين لكن يتماثل في الجهود المبذولة التي تكبد من أجلها العديد المصاعب الجمة دون أن يعلن الواحد منهم فشله أو استسلامه لأنه منذ الوهلة الأولى قدم نفسه فداء لمقامة الظلم انطلاقا من مبدأ الإخلاص لله بناء من قول الله تعالى:﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجَا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [سورة الطلاق الآيتان: 2 –3].

ـ الهوامش:

(1) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900 – 1930)، ج 2، ط 3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 314.

(2) أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية (1900 – 1930)، ج 2، ص 455.

(3) تركي رابح: الشيخ عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت)، ص 56 – 57.

(4) أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 33.

(5) عبد الكريم بو صفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتأثيرها في تطور الحركة الوطنية، ط 1، دار البعث، قسنطينة، ص ص 74 – 75.

(6) محمد الصالح الجابري: التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص ب.

(7) أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، ص 201.

(8) ولد الشيخ عبد القادر الياجوري بقمار سنة 1912 – ينظر محمد الحسن فضلاء: من أعلام الإصلاح في

الجزائر، ج2، دار هومة، الجزائر، ص 76.

(9) محمد الحسن فضلاء: نفس المرجع، ج2 ص ص 76 – 77.

(10) أبو القاسم سعد الله: " فقيد العلم والجزائر الشيخ محمد الطاهر تليلي (1910 – 2003) "، جريدة الشروق اليومي، عدد 950، الجزائر، 16 ديسمبر 2003.

(11) أبو القاسم سعد الله: نفس المرجع. – إبراهيم مياسي: " ذكريات عن العلامة الطاهر التليلي "، جريدة البصائر، السلسلة الرابعة، العدد 180، الجزائر، فيفري – مارس 2004.

(12) ولد الشيخ علي بن سعد سنة 1908، بقمار. – ينظر علي غنابزية: "مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920 – 1938"، محاضرة، مخ، ص 05.

(13) محمد الحسن فضلاء: نفس المرجع، ج2 ص 18.

(14) ولد الشيخ حفناوي هالي سنة 1911 بقمار. – ينظر محمد الحسن فضلاء: المرجع السابق، ج 1، ص 266.

(15) حمزة بوكوشة: هو حمزة شنوف ولد بوادي سوف سنة 1906 – ينظر محمد الصالح الصديق: " الشيخ حمزة بوكوشة "، جريدة البصائر، العدد 177، السلسلة الرابعة، الجزائر، فيفري 2004.

(16) محمد الصالح الصديق: نفس المرجع.– غير أن محمد الحسن فضلاء يقول سنة 1924، المرجع السابق، الجزء ج 2، ص 62.

(17) محمد الحسن فضلاء: نفس المرجع، ج2 ص 62.

(18) علي غنابزية: مساهمات علماء سوف في الحركة الصحفية الوطنية ما بين 1920 – 1938، ص 02.

(19) حمزة بوكوشة: "الهاشمي الشريف"، محاضرة، ثانوية علي ملاح، ورقلة، ص 07.

(20) عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر لمعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 223.

(21) حمزة بوكوشة: الهاشمي الشريف، ص 07.

(22) صالح الخرفي: في رحاب المغرب العربي، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص37.

(23) صالح الخرفي: نفس المرجع، ص 37.

(24) أحمد صاري: "عبد العزيز الهاشمي والإصلاح"، المجلة المغربية، العددان 112 – 113، تونس، ص 564. – عمار هلال: أبحاث ودراسات، ص ص 321 – 322. – إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 222.

(25) عمار هلال: أبحاث ودراسات، ص 322. – إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر، ص 222.

(26) ولد الشيخ عبد العزيز بعميش (البياضة).– أرشيف ما وراء 24 H 9.نقلا عن عمار هلال: أبحاث ودراسات، ص ص 321.

(27) إبراهيم مياسي: " أضواء على الشيخ عبد العزيز الشريف المصلح الديني "، الندوة الفكرية السادسة

محمد الأمين العمودي، دار الثقافة، الوادي، أيام 29 – 30 أفريل – 01 ماي 1993، ص 24.

(28) إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر، ص 223.

(29) محمد صالح الجابري: التواصل الثقافي بين الجزائر و تونس، ص ص (ج – هـ)

(30) حمزة بوكوشة: الشيخ الهاشمي، ص ص 07 – 08.

(31) أحمد صاري: عبد العزيز الهاشمي والإصلاح، ص 567.

(32) الشهاب: ج 1، م 1، 10 صفر 1345هـ – 23 أوت 1926م.

(33) أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة , ص 201.

(34) لقاء مع الباحث محمد المولدي سيشي، مرجع سابق.

(35) نورالدين ثنيو: " محمد الأمين رؤية تاريخية " الندوة الفكرية العاشرة محمد الأمين العمودي، دار الثقافة، الوادي، أيام 18 – 21 نوفمبر 1997، ص 221.

(36) نورالدين ثنيو: نفس المرجع، ص 217.

(37) Ecole d'indigènes d'El-Oued , Registre des élèves admis à l'école du 1886 –1904 , Archives du l'école de chahid Mihi Mouhamed Bel hadg , El –Oued.

(38) نور الدين ثنيو: المرجع السابق، ص 216.

(39) محمد الأخضر عبد القادر السائحي: محمد الأمين العمودي الشخصية المتعددة الجوانب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1998، ص ص 36 –37.

(40) نورالدين ثنيو: المرجع السابق، ص 221.

(41) الشهاب: ج9، م 10، يوم الأحد 01 جمادي الأول 1353هـ – 12 أوت 1934.

(42) أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب و الرحلة، ص 102. (الهامش رقم 02).

(43) محمد سعيد دفتردار: "من أعلام المدينة المنورة (صاحب الفضيلة العلامة المحدث السلفي الشيخ عبار بن عبد الله بن الطاهر ابن أحمد الهلالي الجزائري المدرس بالمسجد النبوي الشريف عله رحمة الله)"، مجلة المنهل، ج 8 السنة 35، مكة المكرمة، العربية السعودية، شعبان 1389هـ/أكتوبر 1966م، ص 1105.

(44) علي غنابزية: "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بسوف (نشاط فكري وسياسي وتجارب واسعة)"، جريدة الشعب، الجزائر، عدد يوم السبت 25 جويلية 1989.

(45) أحمد صاري: عبد العزيز الهاشمي والإصلاح، ص 564.

(46) أبو القاسم سعد الله: أفكار جامحة، ص 174.

(47) محمد سعيد دفتردار: المرجع السابق، 1105.

(48) أرشيف ما وراء البحار 14 H 9. – نقلا عن أحمد صاري: عبد العزيز الهاشمي والإصلاح، ص 564.

(49) أرشيف ما وراء البحار 14 H 9. – نقلا عن أحمد صاري: عبد العزيز الهاشمي و الإصلاح، ص 565.

(50) Ahmed Sarri: L'Association des Ulama musulmans Algériens et l'administration française en Algérie de 1931 à 1956, Doctorat de l'Université de Provence, Aix - Marseille I, 1990, p 432.

(51) محمد سعيد دفتردار: المرجع السابق، ص 1105.

(52) علي غنابزية: "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بسوف (نشاط فكري وسياسي وتجارب واسعة)"، مرجع سابق.

(53) عبد الكامل بن عبد الله النجعي ولد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر للميلاد دخل مدرسة الأهالي بالوادي، وكان قادري الطريقة، حيث كان مولعا بالمديح إلى أن وصل به الأمر إلى ترجمة بعضه للفرنسية، و في العقد الثاني من القرن العشرين للميلاد التحق بمناجم الوانزة قصد العمل، ليعود في العشرينات من نفس القرن إلى الوادي ويشتغل بالتجارة. – لقاء مع الشيخ عبد الله النجعي ابن أخ عبد الكامل وهو من مواليد 1912م يوم 05 جمادي الثانية 1424هـ– 03 أوت 2003م مساء.

(54) أرشيف ما وراء البحار 14 H 9. – نقلا عن أحمد صاري: عبد العزيز الهاشمي والإصلاح، ص 565.

(55) محمد الصالح رمضان: "الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته"، مجلة الثقافة، العدد 43، الجزائر، مارس 1978،ص 18.

(56) علي غنابزية: "مساهمات علماء سوف في الحركة الوطنية مابين 1920 – 1938م، ص ص 07 – 08.

(57) محمد ناصر: الصحف العربية الجزائرية من 1847 – 1993، ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص ص 52.

(58) محمد الصالح رمضان: " الأديب الشهيد الأمين العمودي كما عرفته"، ص 18.

(59) علي غنابزية: "مساهمات علماء سوف في الحركة الوطنية مابين 1920 – 1938، ص 08.

(60) محمد الصالح بكوش: "الشيخ علي بن سعد خيران القماري"، الندوة الفكرية الثالثة للشيخ عبد القادر الياجوري، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي بقمار، الوادي، أيام 04 –05 – 06 جوان 2002، ص 04.

(61) الليالي: العدد 12، يوم الأحد 11رجب عام 1355 – موافق 27 سبتامبر سنة 1936.

(62) محمد الصالح بكوش، المرجع السابق، ص 04.

(63) الليالي: العدد 12، المصدر السابق.

(64) محمد الطاهر التليلي: منظومات، ص

(65) البصائر: عدد 150 السنة الرابعة يوم الجمعة 06 ذي الحجة 1357هـ – 27 جانفي 1939م.

(66) Ahmed Nadjah: Le souf des Oasis , Edition La maison des Livres, Alger , 1971, p 130.

(67) Ibid, p 129.

(68) سورة البقرة، الآية 249.

(69) محمد صالح الجابري: رحلات جزائرية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 147.

(70) عبد الحفيظ: هو عبد الحفيظ بن العيد صالحي من مواليد 1899 بالوادي هاجرت أسرته إلى تونس هذا مكنه من الالتحاق بجامع الزيتونة، ليعود في العشرينات من القرن العشرين للميلاد إلى وادي سوف ليستقر بتكسبت، و قد احترف الخياطة لتكسب. في حين أخذ يدرس القرآن الكريم و بعض العلوم كاللغة والفقه بالجامع العتيق بالحي نفسه و قد كانت له مكتبة قيمة، حيث يصف ابنه الأصغر أنه في أوائل الثورة وخوفا من المداهمات أخذ هذا الأخير يحرق الكتب، وبعض الصحف والمجلات، فقد كانت مكتبة كثيفة العدد و متنوعة العناوين ومتعددة العلوم.– لقاء بالسيد عبد الواحد صالحي الابن الأصغر لشيخ عبد الحفيظ يوم 17 جمادي الثانية 1424هـ – 15 أوت 2003م مساء.

(71) Ahmed Nadjah: Op cit ; p 130.

(72) وقد كان الشيخ الطاهر معمري يقيم الدروس العلمية، والحلقات القرآنية بالجامع الأصفر ليتول إمامة هذا الجامع بعد سجن الشيخ مسعود عباسي بسجن تقرت أثر الأحداث الأليمة التي شهدها وادي سوف إثر زيارة القائم بالشؤون الأهلية سنة 1938م– ينظر محمد المولدي سيشي: نفس المرجع، ص 21

(73) إبراهيم كلكامي: هو إبراهيم بن سليمان كلكامي ولد سنة 1913 بالزقم ليحفظ القرآن على يد الشيخ مسعود بن محمد عباسي كما تلقى دروسا في علوم القرآن والفقه في المجالس العلمية التي كان يقيمها الشيخ الطاهر معمري، غير أن تفوقه وقدرته على استيعاب الدروس أهله للإلتحاق بجامع الزيتونة سنة 1934.ليتحصل منه إلى شهادة التطويع – ينظر محمد المولدي سيشي: نفس المرجع، ص 19.

(74) محمد المولدي سيشي: نفس المرجع، ص 14.

(75) مصباح حويذق: هو مصباح بن الطيب ولد عام 1902 بالطريفاوي حفظ القرآن على يد والده الطيب عام 1917م ثم إلتحق بالزيتونة عام 1931م ليتخرج منه بشهادة التطويع وعلى إثرها عاد إلى مسقط رأسه ليشتغل بالتعليم فكان يدرس علم التوحيد والنحو والفقه وفي سنة 1937 إنتدبه الشيخ عبد الحميد ابن باديس مدرسا بمعهد الحديث بتلمسان – ينظر علي غنابزية وآخرون: مفكرة نهاية القرن العشرين، المطبعة العصرية بالوادي، الوادي 1999 – 2000.

(76) عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر، ص 346.

(77) سعد العمامرة والجيلاني العوامر: شهداء حرب التحريرية بوادي سوف، مطبعة النخلة، بوزريعة، الجزائر، (د– ت)، ص 15.

(76) الشيخ لخضر شبرو من خريجي جامع الزيتونة اشتغل " باش عدل " بمحكمة قمار الشرعية. – ينظر إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص 228.

(78) إبراهيم مياسي: من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ص 228.

(79) عمار هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر، 327

(81) محمد خير الدين: مذكرات، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 281.

(82) عمار هلال: أبحاث و دراسات في تاريخ الجزائر، 327

(83) البصائر: عدد 122، السنة الثالثة، يوم الجمعة 17 جمادي الأولى 1357هـ – 15 جويليت 1938م.

(84) البصائر: عدد 48 السنة الأولى يوم الجمعة 11 شوال 1355هـ – 25 ديسمبر 1936م.

(85) Ahmed Nadjah: Loc cit.

(86) J.Scelles Millie: Contes Sahariens du Souf, Maison neuvre et La rose , Paris , 1964, p 24

(87) احميدة عميراوي: أبحاث في الفكر والتاريخ (الجزائر وفلسطين)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2003، ص 152.

(88) محمد خان: " الأدب الإصلاحي في الجزائر (دراسة تحليلية لأدب حوحو) "، ج 2، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، العدد 02، بسكرة، جوان 2002، ص 32.

(89) محمد السعيد قاصري: " السياسة الإدارية الاستعمارية في الصحراء الجزائرية "، مجلة دراسات أدبية و إنسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد 01، قسنطينة، صفر1425هـ – أفريل 2004م، ص 55.

(90) J.Pigoreau: L'émigration dan l'Annexe d'El – Oued ,(manuscrit), 1955, p 11.

(91) عبد القادر فكاير: "الحالة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للوادي بعد الحرب العالمية الثانية من خلال نشرة " وثائق جزائرية" لعام 1948 "، ندوة العدواني، الزقم، الوادي، مارس 2002، ص 01.

(92) علي غنابزية: " النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف "، مجلة القباب، العدد الأول، تصدر عن دار الثقافة بالوادي، الوادي، جوان 2004، ص 34.

(93) البصائر: عدد 23 السنة الأولى يوم الجمعة 22 ربيع الأول 1355هـ – 12 جوان 1936م. – البصائر: عدد 24 السنة الأولى يوم الجمعة 29 ربيع الأول 1355هـ – 19 جوان 1936م.

(94) عمار هلال: أبحاث ودراسات، ص ص 321 – 324.

(95) الشيخ كحول: هو ابن دالي عمر من مواليد سنة 1875 بقسنطينة غير أنه استقر مع أسرته فيما بعد بمدينة الجزائر اشتغل مترجما لدى الإدارة العامة. كما عمل في ميدان الصحافة ودرس بالجامع الكبير.– ينظر أحمد صاري. شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، المطبعة العربية، غرداية، 2004، ص 44. (الهامش رقم 01).

(96) أرشيف ما وراء البحار 24 H 9، تقرير رقم 75 / S – 15 | 03 | 1938.– نقلا عن عمار هلال: أبحاث ودراسات، ص 326.

(97) البصائر: عدد 123، السنة الثالثة، يوم الجمعة 24 جمادي الثانية 1357هـ – 22 جوليت 1938م.

(98) البصائر: عدد123، نفس المصدر.

(99) عمار هلال: أبحاث ودراسات، ص ص 326 – 328.

(100) عمار هلال: أبحاث ودراسات، ص ص 328 – 329. – محمد الصالح بكوش: " الشيخ علي بن سعد

خيران القهاري "، الندوة الفكرية الثالثة للشيخ عبد القادر الياجوري، الجمعية الثقافية للمركز الثقافي بقهار، الوادي، أيام 04 –05 – 06 جوان 2002، ص 02.

(101) البصائر: عدد 123، مصدر سابق.

Association des oulémas musulmans entre préjugés colonial et Scramble du soufisme

Moussa BEN MOUSSA (*)(**)

Résumé

L'émergence de l'Association des oulémas musulmans Algérienne en Algérie était la nécessité de protéger l'identité culturelle et des éléments culturels de la nation algérienne, mais cette présence fut bientôt en conflit avec l'administration coloniale, d'une part, et les ordres soufis, de l'autre.

Cette situation est apparue clairement à El-oued ce qui a conduit l'association à se situer entre les préjugés colonial et Scramble du soufisme.

* Maitre-Assistant (A) – Département des sciences humaines – Faculté des sciences sociales et humaines - Université d'El oued – Algérie.

** Doctorant au Département d'Histoire - Faculté des arts et la civilisation islamique - Université Emir Abdelkader - Constantine – Algérie.